واشـــقيقاه ! !

للآنسة الفاضلة فدوى طوقان

[فى الساعة التاسعة من مساء الجمعة الثالث من شهر مايو سنة ١٩٤١ . خبا السراج الذى كان يسكب النور فى جوانب نفسى ويهدينى إلى سبل الحق والخير والجمال لقد ذهب شقيقى إبراهيم وخلف لى حسرة الأبد .]

(فدوى طوقان)

و (الرسالة) تقدم إلى الآنسة الفاضلة أجل العزاء ، وتشاطرها ما أظهرت من العواطف الصادقة فى هذا الرثاء .

وا شقيقاه ، ما أجـــلّ مصابى
كيف أودى الردى بزين الشبابِ
كيف جفّ الغصن الرطيب وأضحى
يا لقلبى موسّـــداً فى الترابِ

وا شقيقاه ، مال فى عمر الورد … غضيرَ الصِّبَى نضيرَ الإهابِ
أين منى أخى ؟ إلى الله ! ما خلاّ … ه عنى ؟ ما عاقه عن جوابى ؟
سلبتنى الأيام بهجة عيشى … يوم ولّى وحطّمتْ أعصابى
وأعاضتْ قلبى من النور ناراً … ليس تخبو على مدى الأحقابِ
ليت شعرى أخى لفقدك أشجى … أم لطفليك أم لحظى الكابى
أم لأمّ الطفلين لوّعها الثكلُ … فباتت فى حسرة واكتئابِ
دمعها من عصارة القلب ، والهمّ … على قلبهـا الجريح المذابِ
ودّعت بعدك المباهج والأفـ … راح واستقبلتْ مقيم العذابِ
لهف نفسى على نضير صباها … ينزوى فى الأسى وسود الثيابِ
حرّ قلبى لجعفر وعريبٍ[(١)] … إذ هما يرقبان يوم الإيابِ
كلما استشعرا إليك حنيناً … هاج فى الصدر من طويل الغيابِ
... هتفا باسمك الحبيبِ وباتا … رهن همّ ووحشة وارتقابِ

* * *

أوحشتْ بعدك المجالس والأسما … ر وارفضّ مجمع الأحبابِ
وانطوى الأنس إذ طوتك الليالى … عن نفوس الأتراب والأصحابِ

كنت ريحانها فغُيّبْتَ عنها … فى صعيد قفر الجناب يبابِ
حسرتا للخلائق الزُّهر تُطوى ، … للمزايا وللسجايا العِـذابِ
ليت شعرى ما عالمٌ صِرتَ فيـه
عن عيون الأحياء خلف حجابِ ؟
أهْوَ شطّ الأمان للنفس بعد الـ
خوض فى مزبدات طامى العُبابِ
أترى فيـه راحة من عناه … وقراراً من حيرة واضطرابِ
يا شقيقى حدّث ، أتنضبُ فيـ … ـه النفس من كل رغبة وطِلابِ
هل نفضتَ اليدين من نشوة الأحـ
لام والشعـــر والمنى والرغابِ
هل طرحتَ الآلام عنـــك وكم
عانيتَ منها مَضًّا وطول اصطحابِ
قد سقتك الحياة فى العسر واليسر
بكاسين من شهـــادٍ وصابِ
وبلوتَ الصحاب فى السر والجهر
فمن بين خالص ومحـــابى

... ... … ... ...
... ... … ... ...
... ... … ... ...

أقصر اليوم صاحب وعدوٌّ … ووهتْ بينكم عرى الأسبابِ

* * *

حسراتى عليك ما تنقضى … لا ، ولن ينتهى عليك انتحابى
ويعزّون فيك يا صِنْوَ نفسى … أىّ شىء فيه العزا عن مصابى
ما عزائى أخى وقد كنت حظاً … من حظوظى وكنت من آرابى
كنتَ أزرى ، إن ضِقتُ بالهم والكر
ب جلوتَ الأسى وفرّجتَ ما بى
فإلى من أشكو إذا حزبتنى … طارقات الهموم والأوصابِ
يا شقيقى مهّد لجنبى مكاناً … وارتقبنى فإننى فى الركابِ

(نابلس) فدوى عبد الفتاح طوقان

(١) ابن الفقيد وابنته